

ابن طفيل بين إحياء الفلسفة وريادة الرواية الرمزية

Ibn Tufail between the revival of philosophy and the pioneering of the symbolic narration

إعداد الدكتورة/ فاطمة مفلح العبدالات

محاضر متفرغ في تخصص اللغة العربية، قسم العلوم الأساسية ونائب العميد لشؤون الجودة وشؤون الطلبة، كلية الأميرة ثروت، المملكة الأردنية الهاشمية

Email: dr.fatem@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة لكتاب حي بن يقظان لابن طفيل، لبيان أثر ودور ابن طفيل محمد بن عبد الملك الأندلسي العالم والفيلسوف والطبيب والفقير والكاتب في إثراء الفلسفة العربية ولبیان أهمية كتابه ذلك لسرد أفكاره الفلسفية المستمدة من علوم عصره، صابغا إياها بأرائه الخاصة وسابقا عصره في ريادة فن السرد الرمزي، واستطاعته أن يصل إلى مراده بطريقة قصصية شائقة. فقد شغل ابن طفيل بكتابه "حي بن يقظان" الكثيرين في شرق الأرض وغربها وعلى مدى عصور فائز فيمن قراءة أيما تأثير بل وأقروا ببراعته في بيان مراحل تطور العقل البشري، وانتبه بعضهم إلى أن حي بن يقظان كان بطلا لرواية تحكي قصة إنسان يبحث في الكون عن خلق هذا الكون وصاغ ذلك كله في رواية رمزية مكتملة العناصر في محاولة منه لإيصال أفكاره الفلسفية لطلاب العلم في عصره بطريقة محببة وسط مجتمع عرف برفضه للفلسفة ومسالكها وسالكيها وكان كتابه نجمة مضيئة لسنوات عديدة في سماء الغرب الحالكة قبيل عصر النهضة. ولقد حقق ابن طفيل في كتابه تنافذا أدبيا بارعا إذ استطاع الربط بين أكثر من لون أدبي في آن واحد لذا وقع الكثيرون في حيرة عند تصنيف كتابه، كما ان محاولة ابن طفيل الاجابة عن أسئلة البشرية الكونية بأسلوب منطقي مبسط يعكس همته العالية وتصميمه للوصول لإجابات استدلالية تخطر ببال عدد من الناس. استطاع ابن طفيل هضم الفلسفة اليونانية وانتاج فلسفة إسلامية المنظور مستخدما الأدوات الفلسفية المعروفة في زمانه، لذا لا بد من دراسة بقية مؤلفاته باهتمام كبير لأنها نتاج يستحق الدراسة. ومن الواضح محاولة ابن طفيل الوصول الى توافق بين العقل والنقل متجنباً أي صدام قد يحصل بينهما، مما يعكس بعض السمات الشخصية له.

الكلمات المفتاحية: الرواية الرمزية، إحياء الفلسفة، ابن طفيل الأندلسي، حي بن يقظان، العقل والنقل، الفلسفة العربية عصر الموحدين، الفلاسفة الأندلسيون.

Ibn Tufail between the revival of philosophy and the pioneering of the symbolic narration

Abstract:

This study of Ibn Tufail's book "Hayy ibn Yaqzan" aims at showing the impact and role of Ibn Tufail Muhammad ibn Abd al-Malik al-Andalusi, the scientist, philosopher, physician, jurist and writer in enriching Arabic philosophy in that book by presenting his philosophical ideas which are derived from the sciences of his time, imbuing them with his own views and ahead of his time in pioneering the art of the symbolic narration, and was able to reach his goal in an interesting anecdotal way. Ibn Tufail, with his book Hayy ibn Yaqzan, occupied many people in the east and west of the earth and over the centuries. He also affected those who read it, and they acknowledged that the book shows the stages of development of the human mind, and that Hayy ibn Yaqzan is the hero of a novel that tells the story of a man searching the universe for who created it. Moreover, Ibn Tufail poured all of that into an interesting symbolic novel complete with elements in an attempt to communicate his philosophical ideas to students of science in his time in a loving way, amidst a society known for its rejection of philosophy, its paths, and its followers.

In his book, Ibn Tufail achieved a brilliant literary effect, as he was able to link more than one literary color at the same time, so many people were confused when classifying his book, and Ibn Tufail's attempt to answer universal human questions in a simplified logical manner reflects his high motivation and determination to reach inferential answers for more. number of people Ibn Tufail was able to digest Greek philosophy and produce a perspective Islamic philosophy using the well-known philosophical tools of his time, so the rest of his writings must be studied with great interest because it is a product worth studying It is clear that Ibn Tufail tried to reach a consensus between reason and transmission, avoiding any clash that might occur between them, which reflects some of his personal characteristics..

Keywords: the symbolic novel, the revival of philosophy, Ibn Tufail Al-Andalusi, Hayy ibn Yaqzan, reason and transmission, Arabic philosophy, the era of Al-Mohads, Andalusian philosophers.

1. مقدمة البحث:

تحاول هذه الدراسة أن تسبر أغوار ابن طفيل بدراسة بطل روايته حي بن يقظان، أفكاره وقناعاته الفلسفية ورصده للتطور الفكري للعقل البشري، ودور كل من العقل والنقل في حياة البشر وأنواع البشر في تقبل الفلسفة والزهد والمكاشفة؟ وحرصت هذه الدراسة على رصد عناصر الرواية الرمزية في كتاب "حي بن يقظان" من الناحية الفنية، للإجابة عن السؤال الآتي: هل كان ابن طفيل اول من راد طريق الرواية الرمزية فعلا؟

قد يكون ابن طفيل اول من حقق تنافذا فنيا بين أكثر من لون أدبي في محاولة منه لإيصاله أفكاره الفلسفية بطريقة مغلفة بالأدب هربا من مجتمع يعادي الفلسفة وأهلها ولنشر أفكاره الفلسفية حتى لا يطويها النسيان متخذا طريقا فريدا _ وهو طريق الرواية _ فاق فيه غيره من فلاسفة عصره ومن سبقهم ايضا.

1.1. أسئلة البحث:

- هل حقا يحتاج الانسان بعد تلقيه لرسالة الانبياء للمزيد من البحث عن الله أم البحث في الله؟
- وهل عبادة الله وهي غاية خلق الانسان يلزمها الدخول الى عالم التصوف لننتقل بين الاحوال والمشاهدات ونصل الى المكاشفة؟ أم ان الامر ابسط من ذلك؟
- وهل الزهد بملذات الحياة المباحة نوع من التقرب لله؟
- ولم لم يربط ويستند ابن طفيل الفقيه من قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام في البحث عن الله وبان العقل وحده لا يكفي للوصول؟
- وهل نجح ابن طفيل حقا في سكب أفكاره الفلسفية في رواية رمزية كان الرائد الاول في صياغة هذا الفن ليعلم الاجيال كيف تحيي عقلها؟ في محاولة منه النجاة من نقد المجتمع لهذا النوع من الفلسفة؟
- وما العناصر الفنية التي حققها في كتابه لنعدها رواية رمزية فلسفية؟

2.1. أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة في محاولتها سبر اغوار كتاب "حي بن يقظان" وما ورد فيه من افكار فلسفية مستفادة من أمم سابقة هضم بعضها الفلاسفة المسلمون، ثم انتقدوها ثم اضافوا عليها بل نسجوا فلسفة إسلامية الخيوط في إطار يتوافق مع الدين الإسلامي وقد كان ابن طفيل في "حي بن يقظان" خير ممثل لكل ذلك. وتحاول هذه الدراسة ان تثبت نجاح ابن طفيل في مزج أكثر من صنف أدبي في كتابه "حي بن يقظان" وان غلب عليه الرواية الرمزية.

3.1. منهج الدراسة:

سارت هذه الدراسة وفق المنهج الوصفي التحليلي اذ وصفت وحللت العبارات والافكار والصور والمواقف الواردة في كتاب حي بن يقظان وتم الاهتمام بالنواحي الفنية لألقاء الضوء على المهارة الادبية عند ابن طفيل لا سيما المهارة القصصية.

2. الدراسات السابقة:

نال كتاب حي بن يقظان لابن طفيل اهتماما كبيرا من الباحثين العرب والاجانب لما يحوي من اراء فلسفية شغلت العقل البشري في معظم العصور، اضافة الى سهولة طرح ابن طفيل لأرائه وجمال أسلوبه. ومن تلك الدراسات كتاب احمد أمين "حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي" حاول فيها المؤلف ان يقارن بين الفلاسفة الثلاثة وقد استخدموا الاسم ذاته ولكن اختلف الطرح وحاول ان يحلل شخصية حي بن يقظان عند الفلاسفة الثلاثة اما عبد الحليم محمود في كتابه " فلسفة ابن طفيل ورسالته حي بن يقظان " فقد شرح عن حياة ابن طفيل وأثاره وفلسفته وعن السعادة التي كان ينشدها ووسيلتها والحكمة الاشرافية وسبل الوصول اليها. وتطرق حسن محمود عباس في كتابه حي بن يقظان وروبنسون كروزو، الى المقارنة والقياس لمدى تأثير دانيال ديفو مؤلف روبنسون كروزوب "حي بن يقظان" ورصد آراء الباحثين في هذا الشأن. ويؤكد مدني صالح في كتابه "ابن طفيل قضايا ومواقف" ان تأثير ابن طفيل بابن سينا لا يعدو التأثير بالأسماء فقط، وان حي بن يقظان يمثل شخصية روائية ديناميكية وان كتاب حي بن يقظان رواية رمزية في الادب المتفلسف.

3. الإطار النظري:

1.3. فمن هو ابن طفيل؟

انه ابو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي (1) ولد في مدينة "وادي آش" الأندلسية الغنية بالاشجار والينابيع والكهوف وقد يكون لذلك أثر عند بناء روايته حي بن يقظان ولم تحدد المصادر زمن ولادته لكنها رجحت انها قد تقع في الفترة الممتدة من أواخر القرن الرابع الهجري إلى أوائل القرن الخامس الهجري، كما ان ظروف نشأته غير معروفة، ويبدو أنه حصل علوم عصره، ودرس الطب والفلسفة ثم عمل كاتبًا لوالي غرناطة (2).

تتلمذ على ابي محمد الرُّشَاطي وعبد الحق بن عطية وغيرهما (3) ويقال بأنه تتلمذ على الفيلسوف ابن الصانع (4) المعروف بابن باجة (5) ولكن ابن طفيل صرح بأنه قد قرأ كتبه دون ان يلقي شخصه (6).

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان. ج7/134، لسان الدين، الاحاطة، م478/2، والمقري، نفع الطبيب، 607/1.

(2) لسان الدين، الاحاطة، م478/2.

(3) نفسه.

(4) المراكشي، المعجب، 134 وابن خلكان، وفيات الأعيان. ج7/134.

(5) ابن باجة: ابو بكر محمد بن باجه التجيبي السرقسطي. انظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان. ج4/429.

(6) ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد. ص 112.

وتكاد تجمع المصادر على تفننه في معظم علوم عصره، فقد كان متحققاً لجميع أجزاء الحكمة⁽⁷⁾. "طبيباً، فقيهاً، شاعراً ناثراً، مشاركاً في جملة من الفنون⁽⁸⁾."

اذن كانت نوعية تحصيل ابن طفيل من علوم عصره متنوعة وتأثره بالفلسفة واضحا واشتغاله بالطب مهنة وان كان ضليعا ايضا في الادب وفنونه وبالفقه ودروبه، مما يجعلنا متأكدين اننا امام شخصية شمولية المعرفة ذكية التناول مزجت بين المادة والروح، بين العلم والخيال، بين العقل والنقل وجعلت الفلسفة مدخلا لنوع خاص من التصوف والعزلة والمشاهدة والقص.

لذا اتخذه والي غرناطة كاتباً عنده، ثم استدعاه أمير المؤمنين على المغرب والأندلس أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن⁽⁹⁾ الذي يوصف بثقافته الواسعة فلقى عنده رجالاً من أهل العلم.

فقد كان مؤثراً للعلم متعشياً له⁽¹⁰⁾، وقد درس الخليفة الموحي الطيب⁽¹¹⁾ بل وأمر بجمع كتب الفلسفة في مكتبة قصره، فحملت إليه من الأندلس والمغرب⁽¹²⁾.

ويبدو ان حب العلم ولا سيما الفلسفة قد جمع بين الخليفة يوسف الموحي وابن طفيل بل واستحكمت روابط الصداقة بينهما فكان طبيبا ومستشارا للأمر الموحي، لدرجة أن ابن طفيل كان يمكث أياماً في قصر الخليفة لا يخرج منه⁽¹³⁾.

وقرب الخليفة إليه العلماء من جميع الأقطار، وكان لابن طفيل دور في ذلك "فلم يزل ابن طفيل يحضه على إكرامهم والتنويه بهم وهو الذي نبهه على ابي الوليد ابن رشد"⁽¹⁴⁾.

كل ذلك اتاح للفلسفة ان تزدهر في قصور الموحدين⁽¹⁵⁾، ولابن طفيل تصانيف كثيرة منها تصانيف في أنواع الفلسفة من الطبيعيات والالهييات، ورسالة "حي بن يقظان" ورسالة في النفس وارجوزة طبية⁽¹⁶⁾. ولم يصلنا إلا رسالة "حي بن يقظان" وبعض أشعاره. توفي بمراكش عام (581) بعد وفاة الخليفة يوسف الموحي بعام - رحمهما الله -⁽¹⁷⁾.

1.1.3. لنسأل هل "حي بن يقظان" رسالة أم قصة أم سيرة ذاتية أم رواية رمزية؟ وما دافع ابن طفيل لتأليفها؟ وهل حقق فيها ابن طفيل تنافذاً فنياً دقيقاً؟

(7) المراكشي، المعجب، 134 ولسان الدين، الاحاطة، م/478، ابن خلكان، وفيات الاعيان 134/7.

(8) لسان الدين، الاحاطة، م/478.

(9) ابو يوسف بن ابي يعقوب بن يوسف بن ابي محمد بن عبد المؤمن الموحي، انظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج/133/7.

(10) المراكشي، المعجب، 133.

(11) نفسه 133.

(12) نفسه 133.

(13) نفسه 134.

(14) نفسه 136.

(15) ت. دي بور، تاريخ الفلسفة في الاسلام، 367 وانظر احمد بن سالم، جدلية الوجود والمعرفة، 128.

(16) انظر المراكشي، المعجب، 134، ولسان الدين، الاحاطة، م/478/2.

(17) نفسه، للاطلاع على شعر ابن طفيل: المراكشي 135 ولسان الدين، الاحاطة، م/471/2.

صنفها المراكشي ولسان الدين والمقري رسالة في الطبيعيات⁽¹⁸⁾ وتابعهم بعض الباحثين المحدثين في تصنيفها رسالة فلسفية⁽¹⁹⁾، وان ارتدت ثوباً قصصياً في محتواها، مستدلين على أن مقدمتها وخاتمتها لم تخرج عن الشكل التقليدي للرسالة الفلسفية في عصر ابن طفيل⁽²⁰⁾ لذلك بدأها بالتحميد والصلاة على نبيه الكريم ثم "سألت أيها الأخ الكريم والصفى الحميم...."⁽²¹⁾. وختمها بتعليق يتلو القصة ثم ب" والسلام عليك أيها الأخ المفترض اسعافه ورحمة الله وبركاته"⁽²²⁾

وإذا نظرنا إلى رسائل ابن سينا، نجدها تجري على النسق نفسه⁽²³⁾ (البدء والختام) لقد فضل ابن طفيل الدخول لحي بن يقظان بشكل الرسالة التقليدية في بدايتها وخاتمتها فقط مقلداً بذلك رسائل ابن سينا وقد يكون ابن طفيل قد عدها مقدمة للقصة. ورجح بعض الدارسين لرسالة "حي بن يقظان" أن السائل شخصية وهمية أو أنها القارئ ذاته (المفترض)⁽²⁴⁾ وذلك استناداً إلى ظلال كلمة المفترض، إضافة إلى ظن بعضهم أن ذلك يوفر لابن طفيل مدخلاً مناسباً للرسالة⁽²⁵⁾.

ويغلب الظن ان السائل المفترض هو الامير الموحي وهو شخصية حقيقية قريبة من ابن طفيل يريد ان يصل به لمبادئ الحكمة الاشرافية بدليل قول ابن طفيل في المقدمة ايضاً: "وقد خرج بنا الكلام إلى غير ما حركتنا إليه بسؤال بعض خروج بحسب ما دعت الضرورة إليه وظهر بهذا القول أن مطلوبك لم يتعد أحد غرضين.."⁽²⁶⁾.

ثم قوله بعد صفحات مخاطباً السائل: "إن أحسنت ظنك بنا بحسب المودة والمؤالفة، لا بمعنى أننا نستحق أن يقبل قولنا، ونحن لا نرضى لك هذه المنزلة ونحن لا نتفق لك بهذه الرتبة، ولا نرضى لك إلا ما هو أعلى منها"⁽²⁷⁾.

إن اهتمام ابن طفيل في إيصال مبادئ الحكمة الاشرافية لذلك السائل بطريقة مشوقة، يدل على ان السائل شخصية حقيقية، بل وقريبة من ابن طفيل كأن يكون صديقاً له أو حتى خليفته الموحي.

ولقد صنف بعض الباحثين "حي بن يقظان" قصة فلسفية عقلية ذات طابع رمزي بل عدها البعض رواية في الادب الرمزي المتفلسف⁽²⁸⁾ وذلك أنه بإزالة مقدمة الرسالة وخاتمتها، تبقى لنا قصة حية بعناصرها الفنية، ولكن هل نستطيع فعلاً أن نحذف مقدمة العمل الأدبي وخاتمته، وفيهما توضيح لهدف الكاتب من عمله؟

(18) المراكشي، المعجب، 134. لسان الدين، الاحاطة 478/2. المقري، نوح الطيب، 607/1 و393/3.

(19) انظر: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، 230، وانظر: ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق جميل صليب وكامل عياد، ص 28 وانظر: عبد الحليم محمود. فلسفة ابن طفيل ص 1 وانظر حسن عباس. حي بن يقظان روبنسون كروزو ص 69 و70.

(20) انظر: حسن عباس، حي بن يقظان روبنسون كروزو، 67.

(21) ابن طفيل، تحقيق فاروق سعد، 106.

(22) نفسه، 236.

(23) ابن سينا. رسائل ابن سينا، 10/2.

(24) حسن عباس، حي بن يقظان وروبنسون كروزو، 67؛ وجميل صليبيا وكامل عياد، ص 28.

(25) جميل صليبيا، وكامل عياد ص 28.

(26) ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد، 110.

(27) نفسه، 115.

(28) انظر: عز الدين اسماعيل، قصة حي بن يقظان، ص 46 وانظر محمد الفيومي، تاريخ الفلسفة الاسلامية في المغرب، ص 462 وانظر محمد شرق، المذهب الاشرافي بين الفلسفة والدين ص 111. وانظر مدني صالح، ابن طفيل قضايا ومواقف، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة

الثقافة والاعلام العراقية، 1980 ص 141

لقد عدَّ حسن عباس "حي بن يقظان" صورة ابن طفيل الجوانية "عكست صورة النفس والفكر لا الشكل الخارجي والملاح الظاهرة"⁽²⁹⁾ ثم يقول أننا لا نعد حياً "هو ابن طفيل" وإلا تحولت القصة إلى سيرة ذاتية وهي ليست كذلك "⁽³⁰⁾.

إن تصنيف رسالة "حي بن يقظان" أنها سيرة ذاتية يحتاج إلى تمحيص؛ ليس لاختلاف ظروف النشأة ب بين حي بن يقظان وابن طفيل فحسب، بل لأن ابن طفيل انطق حي بن يقظان فلسفته التي كان حذرًا من إعلانها، لذلك اختار لها لباس القصة أو الرواية، وربما كان الأصوب عدّها سيرة لتطور الفكر الانساني منذ خلق الإنسان ولغاية عصر ابن طفيل ⁽³¹⁾.

كما أن بعض الفنون الأدبية لم تكن قد نضجت في عصر ابن طفيل كالسيرة الذاتية ولكن ابن طفيل مزج بطريقة بديعة متداخلة بين الرسالة والقصة /الرواية والسيرة الذاتية.

فلقد كتبها رسالة حوت قصة / رواية تبني بطلها آرائه الفكرية. وابن طفيل بعد مقدمته في رسالته يقول: "فأنا واصف لك قصة "حي بن يقظان" و"اسأل وسلامان" ⁽³²⁾ فهو يصنفها قصة لكنها داخل رسالة.

وترى الباحثة ان حي بن يقظان رواية قصصية تبني بطلها آراء ابن طفيل الفكرية مقدما لتلك الرواية بمقدمة على شكل رسالة فكأنها رواية داخل رسالة فيما يعرف في ايامنا هذه بتداخل الاجناس الادبية وتنافذها وهذا يؤكد براعة ابن طفيل الادبية واسبقية في هذا اللون.

2.1.3. ما دافع ابن طفيل لتأليفها؟

كان ابن طفيل واضحًا في مقدمة رسالته في بيان هدفه من تأليف "حي بن يقظان" فهو بناء على طلب السائل سوف يبيث بعض أسرار الحكمة المشرقية (الاشراقية) التي ذكرها ابن سينا ⁽³³⁾.

وسلك ابن طفيل طريق القصة لما تحويه من تشويق وعبرة⁽³⁴⁾ وأراد أن يثبت أن لا تعارض بين الشريعة والفلسفة، فكلاهما ينتهي إلى حقيقة واحدة ⁽³⁵⁾ ويشير عباس العقاد ⁽³⁶⁾ إلى ظاهرة القلق والضيق بالدنيا التي غلبت على الفلاسفة المسلمين بعد تعرضهم لمحن سياسية واجتماعية كسبب لتأليف ابن طفيل ل "حي بن يقظان".

وربما كانت رغبة ابن طفيل في أن يشاركه الآخرون تجربته المعرفية حتى ينتصر على عزلته النفسية، ولن يجد أفضل سببًا من القصة فهي خير وسيلة لنشر فلسفته وترغيب الناس في النظر العقلي⁽³⁷⁾.

⁽²⁹⁾ حسن عباس، حي بن يقظان روبنسون كروزو، 79.

⁽³⁰⁾ نفسه، 79.

⁽³¹⁾ انظر: جنيل صليبا وكامل عياد. ص36 وعز الدين اسماعيل، قصة حي بن يقظان، 45.

⁽³²⁾ ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد، ص 116.

⁽³³⁾ الرئيس ابو علي بن عيد الله بن سينا، انظر ترجمته: ابن خلكان، وفيات الاعيان، 157/2.

⁽³⁴⁾ ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد، 116.

⁽³⁵⁾ محمد الفيومي، تاريخ الفلسفة الاسلامية، 462، حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي. ص126.

⁽³⁶⁾ العقاد، بحوث في الأدب واللغة، 161.

⁽³⁷⁾ حسن عباس، ص 74

وبما أن التجربة الفلسفية تجربة واقعية، كان على ابن طفيل أن يعبر عنها بطريقة واقعية مجردة والقصة/ الرواية خير وسيلة لذلك. والقصة عموماً تشكل مدخلاً مهماً للتأثير ولتقريب البعيد كما أن احساس ابن طفيل كمعلم يجعله حريصاً على رفع مستوى ادراك الناس للأشياء (38) فهو يقول في خاتمة الرسالة: "... ما ظهر في زماننا هذا من آراء فاسدة نبحت بها متفلسفة العصر وصرحت بها، حتى انتشرت في البلدان وعم ضرراً وخشينا على الضعفاء..." (39)

لأحد الأسباب السابقة أو لأجلها جميعاً، اصطنع ابن طفيل الشكل القصصي الروائي داخل رسالته.

إن نظرة فاحصة لمقدمة "حي بن يقظان" تكشف لنا أسماء الكتب التي اطلع عليها ابن طفيل كما وتشير إلى مصادر ثقافته الفلسفية، فقد استعرضها في مقدمته ثم نقدها، وأشار بشكل موجز إلى تاريخ الفلسفة في الأندلس. وبين أحول القائمين عليها، واشتكى من أناس عصره، ومن سوء فهمهم للفلسفة وعدم وصولهم إلى مرحلة التوفيق بين العقل والنقل (40).

فمن مصادر ثقافته الفارابي (41) ويأخذ عليه ابن طفيل تضارب آرائه في بقاء النفس وسعادتها يوم القيامة (42) وسوء معتقده في النبوة وتفضيله للفلسفة عليها (43).

ويعرّج ابن طفيل على ابن سينا، ويتهمه بعدم الدقة في عرض آراء أرسطو طاليس (44). أما الغزالي (45) فهو "يربط في موضع، ويحل في آخر ويكفر بأشياء ثم ينتحلها" (46) ويشير إلى السعادة القصوى في علم المكاشفة (47).

أما ابن باجة فيؤكد ابن طفيل وصوله إلى غاية الإبداع الفكري دون حصوله على رتبة العارفين وأنه استطاع وصف رتبة العارفين تخيلاً ويتهمه ابن طفيل بجمع المال والاستكثار منه (48).

ويشكو ابن طفيل من عدم شيوع علم المنطق والفلسفة في الأندلس، فكتب أرسطو والفارابي وابن سينا لا تفي بالغرض، والمشتغلون بالفلسفة في الأندلس عملوا بالتعليم " ولم يقدروا على أكثر من ذلك، ثم خلف من بعدهم خلف فزادوا عليهم بشيء من علم المنطق، فنظروا فيه ولم يفيض بهم إلى حقيقة الكمال" (49) ووضح أن المشتغلين بالفلسفة في عصره إما أهل ولاية وإما أهل نظر (50) والنوع الثاني "أعدم من الكبريت الأحمر" (51) وإن وجدوا فهم قلة، ويكلموا الناس رمزاً – كما فعل ابن طفيل –

(38) انظر: حسن عباس 71 وعز الدين اسماعيل 46.

(39) ابن طفيل حي بن يقظان، فاروق سعد، 235.

(40) نفسه ص 106-116.

(41) الفارابي، ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ، انظر ترجمته: ابن خلكان، الوفيات، 153/5.

(42) ماجد فخري، أثر الفارابي في الفلسفة الأندلسية، ص 6.

(43) ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد، 112 و 113.

(44) الغزالي: ابو حامد محمد بن محمد، انظر ترجمته عند: ابن خلكان، وفيات الاعيان، 216/4.

(45) ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد، 113.

(46) نفسه 114.

(47) نفسه 115.

(48) نفسه 110.

(49) نفسه 111.

(50) نفسه 110 و 111.

(51) نفسه 111.

لأن "الملة الحنفية والشريعة المحمدية قد منعت من الخوض فيه وحذرت عنه" (52)، ويوضح ابن طفيل أنه قد سلك طريق البحث والنظر ثم الذوق بالمشاهدة (53)

3.1.3. "حي بن يقظان" بين الإبداع والتقليد:

هل كان ابن طفيل صاحب فلسفة أصيلة في شكل ومضمون رسالته المعنونة بـ "حي بن يقظان" أم أنه قلّد رسالتي ابن سينا الأولى مسماة "حي بن يقظان" والثانية "أسأل وسلامان" (54) وكلاهما قصص لها طابع فلسفي رمزي وهل استفاد ابن طفيل من الحكايات والأساطير القديمة التي كانت معروفة في الأندلس، كقصة "ذي القرنين والصنم والملك وابنته" (55)

وبعد كل هذا، هل من الممكن أن نقول بأن ابن طفيل كان مقلداً أم مبدعاً؟! لقد رجح معظم الباحثين (56)، تأثر ابن طفيل بشخصيات رسالتي ابن سينا لا يعدو استعارة الأسماء فقط، أما معاني رسالة ابن طفيل، فهي من مجموع العلوم التي حصلها في حياته، فالرسالة احتوت نبذاً من علوم شتى؛ كالفلك، والطب والتشريح، والجغرافيا، والطبيعات، والفلسفة، والتصوف، بل ومبادئ البحث العلمي من نظر واستدلال وقياس.

وابن طفيل نفسه في مقدمة رسالته يبين معرفته واستفادته من رسالتي ابن سينا وذلك بقوله: "فأنا واصف لك قصة "حي بن يقظان" و"أسأل وسلامان" الذين سماهم الشيخ أبو علي (57)

وقصة /رواية ابن طفيل تختلف اختلافاً جوهرياً في تفصيلاتها عن قصتي ابن سينا (58) وربما كان ابن باجة في كتابه "تدبير المتوحد" من أكثر الفلاسفة تأثيراً على ابن طفيل. ففكرة ابن باجة في كتابه هي: استطاعة العقل البشري الوصول إلى الكمال التام "بمجرد التفكير الذاتي دون أي نقل أو تقليد أو تعليم أو إرشاد فلسفي أو ديني" (59)

فابن باجة وابن طفيل كلاهما كانت غايته القصوى التي يصبو إليها "المتوحد" أو المعتزل هي الاتصال بالعقل الفعال (60)

وتأثر ابن طفيل ببعض أفكار ابن باجة لا يجعلنا ننكر ابداعه لقصة فلسفية رمزية صوفية مشوقة، جمع فيها عناصر القصة مع بعض العلوم التجريدية في عصره، ولقد كان ابن طفيل صريحاً في مقدمته في بيان مصادر ثقافته التي تأصل فيها، ولكنه مع ذلك انتقدها، واختط لنفسه طريقاً حاول فيه الجمع بين العقل والنقل، وأن يكون فقيهاً وفيلسوفاً في آن واحد في وقت كان التناقض والعداء بين الفقهاء والفلاسفة كبيراً.

(52) نفسه 111.

(53) نفسه 115.

(54) انظر احمد امين، حي بن يقظان لابن سينا ولابن طفيل وللسهروردي ص 43 وانظر ملخصها عند عز الدين اسماعيل، قصة حي بن يقظان، ص 47.

(55) حسن عباس 57.

(56) محمد شرف، المذهب الاشرافي ص 115، وحسن عباس، 57 وجميل صليبا وكامل عياد 32.

(57) ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد، 116.

(58) جميل صليبا وكامل عياد، حي بن يقظان، ص 34.

(59) نفسه 35.

(60) ماجد فخري، أثر الفارابي في الفلسفة الاندلسية ص 9.

4.1.3. فلسفة ابن طفيل من خلال "حي بن يقظان":

أ – موقفه من الشريعة والفلسفة

قسّم ابن طفيل المجتمع الإنساني إلى قسمين غير متساويين هما: عامة وهم الأغلبية، وخاصة وهم ذوي الفطرة الفائقة، وحدّد صفات كل فريق⁽⁶¹⁾، فقال على لسان حي بن يقظان بعد فشله في إصلاح العامة: "وأن حظ أكثر الجمهور من الانتفاع بالشريعة إنما هو في حياتهم الدنيا ليستقيم له معاشهم... وأنه لا يفوز منهم بالسعادة الأخروية إلا الشاذ النادر" (62)

بل وانزل عامة الناس بمنزلة الحيوان غير الناطق لعدم إعمال العقل والفطرة والتفكير⁽⁶³⁾ وهذا يعني أن مسألة المعرفة مشكلة اجتماعية تاريخية قائمة دون حل (64) وابن طفيل قد قصر الدين على العامة، لأن لا قدرة لهم على معاني ما وراء الطبيعة أما الفلاسفة أو ذوي الفطرة الفائقة، فهم القادرون على السمو والإدراك لما وراء ظواهر الدين، وكلاهما الدين والفلسفة يصلان إلى نتيجة واحدة هي الإيمان بالله واجب الوجود (65)

وهذا يعني أن ابن طفيل اعتقد بالمذهب العقلي الذي يقول بقدرة الإنسان على الارتقاء بنفسه من المحسوس إلى المعقول، فالمعرفة الإنسانية غير متوارثة ولا فطرية بل مكتسبة من تجارب الواقع (66) كما أن المعرفة تبنى تدريجيًا وفق سياق زمني من البسيط إلى المعقد (67)

ومن خلال "حي بن يقظان" يتبين لنا أن الدين عند ابن طفيل وازع اجتماعي للعامة تنتفع به في حياتها ليستقيم معاشها، ومخاطبة العامة بطريقة المكاشفة لا تقربهم من الدين، أما ذوي الفطرة الفائقة فقادرون على فهم ما جاء به الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – بعقولهم، ويفضل ابن طفيل العبادة العقلية على العبادة التي وصفها الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – (68)

ب- فلسفة ابن طفيل الإشراقية

إن الفلسفة الإشراقية (الحكمة المشرقية) تاريخ طويل يمتد إلى أرسطو طاليس وأفلاطون، وهي عند ابن طفيل: استعداد النفس ذات الفطرة الفائقة لتقبل الحقائق الأزلية، ويكون ذلك باتباع طريق البحث والنظر والأخذ بالذوق والمشاهدة (69).

(61) محمد الفيومي، تاريخ الفلسفة 459، ت. دي بور. تاريخ الفلسفة 381.

(62) ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد. 232.

(63) نفسه، 232 و233.

(64) أحمد بن سالم، جدلية المعرفة، 132

(65) محمد الفيومي، تاريخ الفلسفة 460.

(66) أحمد بن سالم، جدلية المعرفة والوجود 130.

(67) نفسه 132.

(68) محمد شرف، المذهب الاشرافي 137 وانظر ابن طفيل، حي بن يقظان، فاروق سعد، 234.

(69) حسن عباس، حي بن يقظان وروبنسون كروزر 30.

هي إذن فلسفة عقلانية روحانية معاً⁽⁷⁰⁾ وعليه يمكننا أن نصف خصائص فلسفة ابن طفيل الإشراقية بما يلي اعتماداً على كتابه "حي بن يقظان":-

أولاً: السعي إلى إيجاد الإنسان الكامل ليحقق السعادة عن طريق المعرفة. وهذا ما حققه "حي بن يقظان" وذلك بتدرجه في المعرفة فقد بدأ بطريق أهل النظر والاستدلال، وانتهى إلى طريق أهل الرياضات والمجاهدات، فالتقى العقل مع الروح للإيمان بالله وحده سبحانه⁽⁷¹⁾

ثانيها: إن كمال الإنسان وسعادته تكون بمشاهدته للموجود واجب الوجود وهو الله سبحانه، وملازمة الفكرة فيه كل ساعة⁽⁷²⁾

ثالثها: التشبيه لذات الله سبحانه، ويكون ذلك بنوعين في صفات الثبات له سبحانه وصفات السلب أما الأول فيقتصر مع العلم بوحداية الله وعدم الاشراف به، وأما صفات السلب فتكون بالتشبه بها في التنزه عن الجسمية⁽⁷³⁾

رابعها: التجريد العقلي الروحي الذي يؤمن بالموجودات العقلية، وكذلك الروحانية التي لا تتصل بالأجسام وتوجد في ذاتها وبذاتها⁽⁷⁴⁾

خامسها: إن ابن طفيل أسس رؤية للوجود بالنظر إليه أولاً في اعيانه لفهمها بوضوح، ودون تعقيد وتنتسم رؤيته بالشمول؛ لأنها لا تتوقف عند حدود العالم المادي الملموس بل تمتد لتشمل الأفلاك وخالق الكون.⁽⁷⁵⁾

سادسها: إن تصور ابن طفيل العقلاني لنظام الطبيعة، جعل رؤيته لكل جسم في الطبيعة وفق حركة وجوده في مكانه الطبيعي الخاص به، كحركة النار إلى الأعلى لخفة مادتها، وحركة التراب إلى الأسفل لثقل مادته.⁽⁷⁶⁾

سابعها: عمد ابن طفيل إلى البرهنة على وجود واجب الوجود ومن خلال البحث في الطبيعة، وهذا يعني أن الطبيعة هي الخطوة الأساسية في نظام فلسفي للبحث عما وراء الطبيعة.⁽⁷⁷⁾

ثامنها: وضع ابن طفيل بأن التفاعل بين الذات الواعية (الإنسان) و الموضوع (العالم الخارجي) أمر حيوي وجوهري، لانتظام علاقة الوعي بالوجود ولاكتساب رؤية صحيحة للعالم.⁽⁷⁸⁾

(70) نفسه 31.

(71) نفسه 32.

(72) عبد الحليم محمود، فلسفة ابن طفيل 36.

(73) نفسه 39.

(74) محمد شرف، والمذهب الاشرافي 94.

(75) أحمد بن سالم، جدلية الوجود والمعرفة 130.

(76) نفسه 130.

(77) نفسه 130.

(78) نفسه 131.

توسعها: تبين ل(حي) ابن طفيل أن الغاية التي يجب أن يبتغيها من عمله هي أن يلتمس الله في كل شيء، وأن يتصل بالوجود المطلق القائم بذاته. (79)

ولا يمكن أن نتجاهل قدرة ابن طفيل على جعل بطله "حي بن يقظان" يمر بمراحل نمو فكري، تمثلت بصورة مراحل نمو الفكر الإنساني / فالمرحلة الأولى من خلقه (بالتولد الذاتي أوأخت الملك) (إلى عامين كانت مرحلة نمو جسمي وتقليد ومحاكاة للتكيف مع البيئة⁽⁸⁰⁾) وبعدها عند السابعة من عمره انتقل إلى الاعتماد على النفس للدفاع وقضاء متطلبات الحياة وبداية الملاحظة والمشاهدة ثم المرحلة الثالثة وهي تمتد من السابعة حتى الحادية والعشرين⁽⁸¹⁾ وهي أطول مرحلة، كان فيها حي قد اكتمل نموه الجسمي والفكري وبدا باكتشاف العلاقات بين الأشياء المتعددة والمتنافرة، أما المرحلة الرابعة⁽⁸²⁾ فمن العام الحادي والعشرين حتى الثامن والعشرين وفيها انتقل حي في ملاحظته وتفكره إلى العالم العلوي حين وصل إلى السعادة (المعرفة) والمرحلة الأخيرة من الثامنة والعشرين حتى الخمسين وفيها وصل حي إلى مرحلة المشاهدة والوصول⁽⁸³⁾.

5.1.3. تأثير ابن طفيل بمن سبقه من الفلاسفة المسلمين وتأثيره فيمن بعده: -

إن نظرية الغزالي في المعرفة تقوم على تحييد العقل وإدراك الحقيقة باليقين الذوقي أو العرفان الصوفي⁽⁸⁴⁾ أما ابن باجة فيرى أن المعرفة تكون: "بالنظر العقلي الخالص الذي لا تشوبه لذة حسية وهو وحده الموصل إلى مشاهدة الله" (85)

وقد يكون لابن باجة تأثير واضح في "تدبير المتوحد" حيث أكد أن على المفكر: "أن يسمو بالتأمل إلى الاتصال بالجوهر الفعال ليحصل على الخلود بفضل الاتحاد"⁽⁸⁶⁾. ويظهر لنا تأثير ابن طفيل بابن باجة بأن جعل "حي بن يقظان" ينشأ في جزيرة نائية، حيث استطاع بواسطة عقله أن يحل مشكلاته الفلسفية ولكنه في الوقت نفسه تأثر بالغزالي في اقتران التفكير بالمشاهدة والوصول إلى مقام العارفين⁽⁸⁷⁾ وهذا يعني أن ابن طفيل قد استخدم العقل ليصل إلى التصوف.

ويمتد تأثير ابن باجة على ابن طفيل إلى تقسيم الناس، ابن باجة يقول: "من الناس من تغلب عليه الجسمانية فقط، وهؤلاء هم أحسن الناس ومنهم من تغلب عليه الروحانية اللطيفة جداً، ومنهم من يوجد في كل واحدة من هذه وهذه تختلف بالأكثر والأقل"⁽⁸⁸⁾

(79) دي بور تاريخ الفلسفة 383.

(80) عبد الامير شرف الدين، الفكر التربوي عند ابن طفيل 26.

(81) نفسه 28.

(82) نفسه 29.

(83) نفسه 30-31.

(84) محمد الفيومي، تاريخ الفلسفة 377.

(85) ت. دي بور، تاريخ الفلسفة في الاسلام، 368.

(86) ابن باجة، تدبير المتوحد 31.

(87) ابن طفيل، حي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد 217.

(88) ابن باجة، تدبير المتوحد 83.

وعند ابن طفيل كان عامة الناس في الجزيرة المأهولة من الصنف الأول، وكان حي بن يقظان من الصنف الثاني. وكان سلامان مثالا للصنف الثالث⁽⁸⁹⁾.

أما تأثر ابن طفيل بابن سينا فقد كان في الطبيعيات وعلم التشريح والفلسفة فابن سينا يقول: "أن الحياة تكون بالروح التي في تجويفي القلب وأن النبض والتنفس لصالح هذه الروح... فلقد ظهر أن الروح التي في تجويفات القلب هي علة الحيرة والتنفس والنبض وهذا ما يحتاج إلى معرفته في الروح الحيوانية التي ينبوعها القلب"⁽⁹⁰⁾.

أما تأثير ابن طفيل فقد كان على الآداب الغربية، لا سيما في فني القصة والرواية وذلك بعد أن تمت ترجمة "حي بن يقظان" إلى عدة لغات أوروبية، وتعتبر رواية "روبنسون كروز" لدانيال ديفو أكبر دليل على تأثر الغربيين بحي بن يقظان⁽⁹¹⁾.

2.3. "حي بن يقظان" البناء الفني:-

رسالة "حي بن يقظان" تتكون من قصتين الأولى تروي خبر أخت الملك الذي عضلها فتزوجت من قريبها سراً وفق شرعيتهم آنذاك، وانجبت حياً وتنتهي القصة بوضع الطفل في صندوق ليحمله الموج إلى ساحل جزيرة غير مأهولة وبذلك انتهت القصة الأولى، وبقيت الشخصية السائدة (حي) لترتبط بين القصتين، ولتبدأ القصة الثانية (وهي الرئيسة) مع حي بن يقظان، وتتسلسل الأحداث بشكل دقيق وفق سياق زمني مرتب⁽⁹²⁾.

والأحداث بما اشتملت عليه من شرح وتبرير واقناع ساعدت على صياغة القالب القصصي/ الروائي فيها مع أنها من نوع القصة الفكرية الذي تستخدم فيه القصة وسيلة لذكر الآراء الفلسفية الكثيرة⁽⁹³⁾.

ومما ساعد على حيوية الأحداث الوصف الطبيعي للجزيرة، والتفصيلات الدقيقة عن الحياة العملية⁽⁹⁴⁾، فطريقة معالجة ابن طفيل لموضوعه كانت ناجحة فابن طفيل استطاع أن يربط سلسلة الأحداث برابط السببية، فموت الطيبة كان سبباً في بحث "حي" عن علة موتها، وموتها كان سبباً في بحثه عن الروح ثم في تفكره في الكائنات من حوله، وعماً يحركها... الخ.

واستطاع ابن طفيل الوصول بالأحداث إلى حبكة متماسكة، فأحداث القصة / الرواية كانت مرتبطة وتسير في خط مستقيم حتى بلغت غايتها⁽⁹⁵⁾.

(89) ابن طفيل، جي بن يقظان، تحقيق فاروق سعد 218.

(90) ابن سينا، رسائل ابن سينا 85/2 وانظر ابن طفيل، حي بن يقظان، فاروق سعد 137.

(91) محمد غنيمي هلال الأدب المقارن 238، حسن عباس 163-166 ومحمد غلاب الفلسفة الإسلامية 59 وانظر مدني صالح، ابن طفيل من اللاهوت الى الرواية الإنجليزية، مجلة أفلام 6-11.

(92) حسن عباس 74.

(93) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، 235.

(94) جميل صليبا وكامل عياد، 41 وانظر محمد نجم فن القصة 55.

(95) محمد نجم فن القصة 74.

ولقد وصل ابن طفيل بالحبكة إلى التشويق في موضعين: أولهما انجاب أخت الملك للطفل، وثانيهما: لقاء حي بأسال في الجزيرة المهجورة (96).

إن اختيار ابن طفيل للمكان (جزيرة مهجورة) كان دقيقاً وذكياً، فالجزيرة شكلت وحدة مكانية مستقلة (97).

وجعلها خالية من الوحوش ليبقى (حي) حياً لا سيما في طفولته، وحتى يتأمل ويتفكر، كان لا بد من أن تكون الجزيرة مهجورة، ليعتمد على نفسه وعقله وليصل إلى الاستدلال إلى الله بطريق العقل دون تعليم أو محيط اجتماعي أو لغة (98).

1.4. وهنا لا بد من طرح السؤال التالي: هل شخصيات قصة / رواية ابن طفيل رمزية؟ أم واقعية؟

استطاع ابن طفيل أن يمزج بين الرمز والحقيقة، بين الواقع والخيال في شخوصه، وأحداثه فسلامان وأسال شخوص حقيقية ممكن أن نجد لها أمثلة بشرية واقعية، وحتى حي بعد فترة الطفولة ممكن أن نجد له شخصية واقعية مشابهة، ولكنها لن تصل إلى ما وصلت إليه شخصية (حي) من مقامات واحوال!؟

إن شخصية حي هي الشخصية الرئيسية والسائدة في القصة/ الرواية رمزت في أول الأمر إلى طريقة أهل النظر ثم انتهت إلى طريقة أهل المجاهدات والرياضات (99) إذن كانت شخصية حي شخصية نامية متطورة متغيرة مع عامل الزمن.

أما شخصية (أسال) وشخصية (سلامان) فهما وشخصية (سلامان) فهما شخصيتان ثابتتان لأنهما لم تتغيرا مع الزمن. إن تركيز ابن طفيل على شخصية حي لإظهارها بمظهر المكنون لم يكن عبثاً فابن طفيل يرمي إلى سمو أهل النظر العقلي على غيرهم، لذا بقيت الأحداث تدور حول (حي) وهو يدور حولها، واستطاع ابن طفيل أن ينحل البطل قصته أفكاره وعبر عنها حي بأسلوب جميل عكس وجهة نظر ابن طفيل الحقيقية (100).

أما شخصية أسال (إبسال) فهي الشخصية الثانية في القصة و ترمز إلى من يسير وفق ملة معينة لنبي من الأنبياء – عليهم السلام – (101) أي يرمز إلى المتدين العاقل الذي يفهم الدين على حقيقته (102) ومن الباحثين من اعتبرها رمزاً للتوسط بين حالتَي التفلسف والفقهِ الظاهري (103).

أما (سلامان) ملك الجزيرة المأهولة فيرمز إلى الإنسان الذي يأخذ بظاهر الدين ويجاري العامة حتى يستطيع أن يحكمها ويسيطر عليها (104) ولا يقبل التأويل.

(96) حسن عباس 71.

(97) نفسه 218.

(98) نفسه 79.

(99) عز الدين اسماعيل قصة حي بن يقظان 45.

(100) محمد نجم، فن القصة 96.

(101) عز الدين اسماعيل، قصة حي بن يقظان 45.

(102) محمد الفيومي، تاريخ الفلسفة 465

(103) حسن عباس 73

(104) محمد الفيومي تاريخ الفلسفة 465 وانظر حسن عباس 73.

واتفاق (حي) مع (أسال) يرمز الى أن العقيدة الدينية التي جاء بها الرسل والحقيقة الروحية التي يتوصل إليها الإنسان بالعقل كلاهما شيء واحد (105) أما فشل حي بن يقظان في تجربته مع العامة فيبدل على عجز العامة عن إدراك مقاصد الفلسفة (106).

وانتقاد (حي) لسكان الجزيرة المعمورة هو انتقاد ابن طفيل لمجتمعه وعصره أما الجزيرة المهجورة فهي رمز للعقل الحر الباحث عن الحقيقة (107).

وكان أسلوب ابن طفيل ولغته في "حي بن يقظان" رشيقا، دقيق الاستخدام فيه مصطلحات علمية منوعة كانت متداولة في عصره مثل: "القدم، الذوات المفارقة والعارفة، مغايرة الذات وغيرها (108)

واتخذ الرمز أسلوبًا لإخفاء تصريحه بأفكاره، لكن تعبيره كان سهلاً وسلساً. ومال إلى استخدام الصور البيانية مثل قوله: "وتأتي بمن يقف على هذا الموضع من الخفافيش الذين تظلم الشمس في أعينهم يتحرك في سلسلة جنونه" (109).

وتأثر ابن طفيل بالقرآن لفظاً ومعنى وقصصاً " مثل قوله: "وصار من أولي الألباب" (110) وقوله: "وتحقق عنده أنه من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (111).

واقتبس قصة الغراب الذي دفن الغراب المقتول، ليدفن الطيبة (أمه)، في قوله: "ثم إنه سنح لنظره غرابان يقتتلان حتى صرع أحدهما الآخر ميتاً، ثم جعل الحي يبحث في الأرض حتى حفر حفرة فوارى فيها ذلك الميت بالتراب..." (112).

واقتبس قصة سيدنا موسى - عليه السلام - حين وضعته أمه في صندوق ودفعته الى الماء وكذلك تأمل سيدنا إبراهيم - عليه السلام - للنجوم والفلك.

أما تأثره بالحديث النبوي فقد كرر الحديث القدسي الذي تضمن قوله - عليه السلام -: "...ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" (113)، ويلاحظ أنه عمد الى التكرار وضرب الأمثلة ربما لاشتغاله بالتعليم، ولحرصه على إفهام سامعيه.

(105) محمد الفيومي، تاريخ الفلسفة 47.

(106) جميل صليبا وكامل عياد 27.

(107) محمد الفيومي، تاريخ الفلسفة 465.

(108) ابن طفيل، حي بن يقظان، فاروق سعد 105 و226 و208.

(109) نفسه، 209.

(110) نفسه، 226.

(111) نفسه، 226.

(112) نفسه، 139.

(113) نفسه، 205.

ورغم ان كتاب حي بن يقظان قد كتب قبل ألف عام تقريبا، فان القارئ في عصرنا الحديث يستطيع قراءتها وفهمها دون صعوبة تذكر وبذلك يكون ابن طفيل قد نجح في استخدام بعدين للقصة البعد القصصي والبعد الفلسفي والأول فني والثاني علم مجرد.

والذي ساعده على ذلك هو ثقافته اللغوية والدينية ثم العلمية، فانت الفاضة مناسبة لمقاماتها.

4. الخاتمة:

رسم لنا ابن طفيل درب الوصول لله سبحانه في كتابه حي بن يقظان فكان الدرب طويلا مع أنه درب قصير وقريب.

ففي كتابه حي بن يقظان حاول الاجابة عن الأسئلة الوجودية البشرية الفطرية بطريقة عقلية قصصية شائقة، ولا شك بتأثره بمن قبله من الفلاسفة المسلمين منهم وغير المسلمين، ومن المؤكد تأثيره فيمن بعده من فلاسفة وادباء في شرق الأرض وغربها، ومن النبوغ ان يخطر ببال ابن طفيل ان ينسج خيوط رواية فلسفية قبل ما يزيد عن ألف عام، فيكون اول من راد أرض الرواية الرمزية الفلسفية.

1.4. نتائج وتوصيات

- 1- امتلاك ابن طفيل الأندلسي (رحمه الله) لملاكات عقلية مكنته من طرح موضوع فلسفي خلافي بين المسلمين بطريقة شائقة وبألفاظ واضحة وبحبكة قصصية قوية ومن ذلك روايته حي بن يقظان.
- 2- يمكن وصف افكار ابن طفيل الأندلسي الفلسفية بالتوافقية بين العقل والنقل لأنه لم يصل بنا الى نقطة الصدام بينهما.
- 3- يبدو ان الحياة المثلى عند ابن طفيل الأندلسي كانت في العزلة والتسك والزهد وان كان يعمل في قصر الخليفة الموحي طيبيا.
- 4- ما برحت خزائن كتب اجدادنا العرب المسلمين زاخرة بكل طيب وثمر، وهناك ما لم يكتشف بعد، ومن ذلك كتاب حي بن يقظان نفسه فكم من الباحثين الذين غاص في بحره للان ومع ذلك ما زال هناك المزيد.

5. المصادر والمراجع

ثبت بأسماء المصادر والمراجع مرتبة حسب مؤلفيها: _

1. أمين، أحمد. (1956م). 'حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي. دار المعارف للطباعة والنشر والتوزيع بمصر.
2. الأندلسي، ابن باجة. (1978م) كتاب تدبير المتوحد، تحقيق عن زيادة، دار الفكر الإسلامي ودار الفكر بيروت.
3. دوهيم، بيان. (1989م). مصادر الفلسفة العربية، تعريب ابو يعرب المرزوقي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقق والدراسات، بيت الحكمة، تونس.

4. ت. ج. دي بور، (1957م). تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية د. محمد عبد الهادي ابو ريده. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
5. عباس، حسن محمود. (1983م). حي بن يقظان وروبسون كروزو، دراسة مقارنة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
6. ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت.
7. ابن سينا، (1953). رسائل ابن سينا، عني بنشره حلمي ضيا اولكن، مطبعة ابراهيم خروز، إستانبول.
8. ابن طفيل الأندلسي، حي بن يقظان، قدم له بدراسة وتحليل جميل صليبا وكامل عياد، (1939). مكتبة النشر العربي، دمشق
9. ابن طفيل الأندلسي، حي بن يقظان (1980). تحقيق فاروق سعد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
10. محمد، عبد الحليم. (د.ت). فلسفة ابن طفيل ورسائله (حي بن يقظان). مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
11. العقاد، عباس محمود. (1970م). بحوث في اللغة والأدب، مكتبة غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
12. عبد الأمير. شمس الدين. (د.ت). الفكر التربوي عند ابن طفيل، الشركة العالمية للكتاب. مكتبة المدرسة – دار الكتاب العالمي.
13. الغزالي، ابي حامد محمد بن محمد الغزالي، (1936م). مقاصد الفلاسفة، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر.
14. كارادافو. ابن سينا، (1970). ترجمة عادل زعيتر، رادعه محمد عبد الغني حسن، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، دار بيروت للنشر.
15. بن الخطيب، لسان الدين. (1974م). الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي بالقاهرة.
16. الفيومي، محمد إبراهيم. (1992م). تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب، دار المعارف، القاهرة.
17. ابو الفتوح شرف، محمد. (1972م). المذهب الاشرافي بين الفلسفة والدين في الفكر الإسلامي، دار المعارف، بمصر
18. غلاب، محمد. (1948م). الفلسفة الإسلامية في المغرب، جمعية الثقافة الإسلامية، القاهرة.
19. هلال، محمد غنيمي. (1970م). الأدب المقارن، مطابع سجل العرب، القاهرة.
20. نجم، محمد يوسف. (1956م). فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت.
21. المراكسي، ابو محمد عبد الواحد بن علي التميمي، (1914م) تاريخ الأندلس المسمى المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المطبعة الجمالية، القاهرة.
22. فخري، ماجد. (1975م). أثر الفارابي في الفلسفة الأندلسية. منشورات وزارة الإعلام، جمهورية العراق مهرجان الفارابي.
23. المقري، أحمد بن المقري التلمساني. (1997). نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب، تحقيق د. احسان عباس، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة.

الدوريات:

1. صالح، مدني. (1973م). ابن طفيل من اللاهوت على الرواية الانكليزية، مجلة الأقسام، العراق، العدد الاول، السنة التاسعة، آيار. ص 6-11.
2. إسماعيل، عز الدين. (1952م). قصة حي بن يقظان، مجلة الثقافة (القاهرة)، العدد 688، مارس، السنة الرابعة عشرة.

الرسائل الجامعية:

بن سالم، أحمد. (1998م). جدلية الوجود والمعرفة في فلسفة ابن طفيل. رسالة ماجستير. جامعة عدن / اليمن.

جميع الحقوق محفوظة © 2023، الدكتورة/ فاطمة مفلح العبدالات، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي

(CC BY NC)

Doi: <https://doi.org/10.52132/Ajrsp/v4.46.7>